الأســد السجيــن (*)

محمد مصــدق

يــدٌ تُــطوى، ومكــرمــةٌ تُعـق ... وحكمٌ فيــه إحجــافٌ وحمقُ[1]
ويــدك أيُّهــا الــرَّاميــةِ ظُـلمـاً ... لأنــتَ بــمــا أردتَ لــهُ أحــقُ
هــزبرٌ لم تنــل منــهُ الليــالي ... ولمْ يقعــدْ بــهِ للشيبِ حَـق[2]
ولــم تــثـلمْ لــه الأدواء عَــزمــاً ... ولا لــلقلبِ قــد أضنــاهُ خفـقُ
رأى إيــرانَ قــد أضحت بنيهــا ... تُســاق إلى الـقيــودِ وتُستــرَّق
فشــاء لنيــل عــزَّتهــا بـلوغـاً ... ولــو كــان الــوصـول لهــا يشق
وصمَّمَ أن ينـال المجـد قسـراً ... ولــو مُلئتْ لــه بـالمـوتِ طُـرق

* . * . * . * . * . *

بـلادٌ قـد جـرى البتـرول فيهــا ... فــمنــه لأهــلِهــا قــوتٌ ورزق
فـكيـفَ ينــالُــه فـيهـم غــريبٌ ... وينبض بينهم بــالجــوعِ عِــرق
لهمْ بعــدَ الــذي يكفيــه سُؤرٌ ... أبين صنيعِهِ والغصب فـرق؟[3]

(*) ٢٤ ديسمبر ـ كانون أول ـ ١٩٥٣.

(١) وضع الشاعر أرقاماً بين أشطر الأبيات، ولعله كان يريد انتقاء هذه الأبيات من القصيدة لنشرها في إحدى المجلات والله أعلم.

(٢) الهزبــر : الأسد.

(٣) السؤر : البقيــة، يلاحظ أن الشاعر ينسج على منوال إحدى قصائد شوقي في وصف دمشق وضرب الفرنسيين لها عام ١٩٤٥ ومطلعها:

سـلام مــن صبــا بــردى أرقُّ ... ودمــع لا يكنـكَف يــا دمـشق

سلِ الشيخَ الذي طلب المعالي ... بجسمٍ باتَ من داءٍ يَدقّ[1]
وأرهبَ جند الاستعمارِ حتى ... أذلَّتْ منهُ في عبدان عُنق[2]
أفي الأدواءِ للمرضى سلاحٌ ... له في الكربِ نَقع لا يُشقّ[3]
وهلْ في الشيبِ للأوطانِ مجدٌ ... إذا أعيا الشبابَ إليهِ سبق
أخاف وملؤه داءٌ وسُقمٌ ... أخا جيشٍ له في الحربِ رشق
وما أنساه يومَ عليهِ صالوا ... وللإرهاب أبوابٌ تُدَق
مِظلات الجنود لها هُبوطٌ ... يهدده وللأسطولِ صَعق
فلمَ يك غَيرَ ذي عَزمٍ تراءى ... وفي فمه من الإقدام نُطق:
لئن لم ترحلوا عنا سَيُفني ... بكم عبدان إتلافٌ وحرق
ففروا عنه يدفعُهم هوانٌ ... وعزمٌ من كهولته أرَق
ولما أنْ تبدَّى منه شَهم ... له في الحقِّ إقدامٌ وصدق
أتوا بالكيدِ، إن الكيدَ أمرٌ ... لهمْ فيه تدابيرٌ ونسق
هم دخلوا العرينَ عليهِ ليلاً ... وقد سكن الدجى واسودَّ أفق
وباتَ الليث مقهوراً، وأعطوا ... زمام الحكمِ مَنْ لا يستحق
وزائف نصرِهم منه قيودٌ ... لطُلابِ الفخارِ وفيه رق
دَسائس ما جنا منها لهيبٌ ... ولمْ يرتق لها في الأرضِ فتق
وللمستعمرينَ بكلِّ قُطرٍ ... خداعٌ عدَّه في الصدْقِ خُلق
فلم يسلَمْ من الأحداثِ غربٌ ... ولمْ يأمنْ شرور القومِ شَرق
ففي الوادي لهم كيدٌ ومُكرٌ ... وفي إيرانَ ارعادٌ وبرق
وفي مراكشٍ سالتْ دماءٌ ... بكتْ مصرٌ لها ورثتْ دمشق
هَبوه أتى الذي عدوه جُرْماً ... ففي ماضيهِ تكفيرٌ وعتق

---

(١) يدق : يضعف.
(٢) عبدان : اسم بلدة في إيران، تقع على الخليج العربي.
(٣) النقع : الغبار.

سلوا من أصدروا بالسجن حكماً ألم يـأخـذْهم بـالشيـخِ رفق؟
حكمتُم حكمكم فـبكـلِّ قـلبٍ كـأمثـالِ الحـجـارة لا تـرق؟
ولـلدنيـا عـلى الأحـرار حُكـمٌ أتـى لـلحـقِّ قَـبـلكُـمُ يُـحِق

* . * . * . * . *